دولة الإمارات العربية المتحدة
دبي

مجلة كلية
الدراسات الإسلامية والعربية

مجلة علمية محكّمة

العدد السادس والثلاثون
ذو الحجة ١٤٢٩ هـ - ديسمبر ٢٠٠٨م

مَجلَّـــة
كُلِّيَّة الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة

مجلة علمية محكَّمة

نصف سنويَّة

العدد السادس والثلاثون

ذو الحجة ١٤٢٩ هـ - ديسمبر ٢٠٠٨م

رئيس التَّحرير

د. أحمد حساني

هيئة التَّحرير

د. أسماء أحمد العويس

د. ماجد عبد السلام إبراهيم

د. الرفاعي عبد الحافظ

د. الشريف ميهوبي

ردمد: ١٦٠٧-٢٠٩X

تفهرس المجلة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

المحتويـــــــات

● **الافتتاحية**

رئيس التحرير ١٥-١٧

● **المَسْألَة في البَسْمَلَة**

تأليف الإمام أبي الحَسَن عليّ بن سُلْطان محمّد الهرويّ ثمّ المكيّ الحنفيّ، الشهير بالملاّ عليّ القاري (ت١٠١٤هـ) دراسَة وتَحْقيق

د: محمّد بن إبراهيم بن فاضل المشهدانيّ ١٩-٥٤

● **السنة مصدر للثقافة الإسلامية**

د. شيخه حمد عبد الله العطيه ٥٥-٩٨

● **الدرر المصنوعة في بيان ما رواه الصحابة عن التابعين من الأحاديث المرفوعة**

أ. د. عبد العزيز الصغير دخان ٩٩-١٤٦

● **إشراق المعالم في أحكام المظالم للشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى (١١٤٣ هـ) دراسة - وتحقيق - ومقارنة**

د. منير عبد الله خضير ١٤٧-١٩٢

● **سبل تنمية أموال القصَّر وتثميرها دراسة فقهية مقارنة بقانون الأحوال الشخصية الإماراتي**

د. سيد حسن عبد الله ١٩٣-٢٤٤

● **دور التربية الإسلامية في الوقاية من الجريمة**

د. أحمد ضياء الدين حسين ٢٤٥-٢٨٦

● **الترجمة للخليل بن أحمد الفراهيديّ بين الموضوعيّة والتحيُّز دراسة في موثوقيّة بعض كُتب التراجم**

د. حسن خميس الملخ ٢٨٧-٣٣٠

● **المثال النَحويّ المصنوع فلسفته النَحويَة وأبعاده التربويَة**

د. سهى فتحي نعجة ٣٣١-٣٦٨

● **مِيْزَانُ الذَّهَبِ في صناعة شِعْرِ الْعَرَبِ للْهاشميِّ (ت١٩٤٣م): قراءة تحليلية ونقدية**

د. صبري فوزي عبدالله أبو حسين ٣٢٩-٤٢٢

● **The Islamic View of Byzantium During The Period of The rusades**

Dr. M. El-Hafiz al-Nager. ..... 5 - 34

السنة مصدر للثقافة الإسلامية

د. شيخه حمد عبد الله العطيه *

* أستاذ الحديث وعلومه المشارك - جامعة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا البحث:

تقرأ فيه أن الثقافة الإسلامية التي يعكسها سلوك الفرد المسلم في حياته اليومية مصدرها الأساسي هو السُنّة النبوية، وتفصيلات هذه الحياة في العبادة والأخلاق وصور التعامل كافة جاءت بها أو تكفلت بها السُنّة النبوية، وهذا فإن الذين يزعمون أن في وسعهم الاستغناء عن السنة النبوية، اكتفاءً بالقرآن الكريم، يهدمون الشطر الأهم في حياة وسلوك الفرد المسلم والمجتمعات الإسلامية!.

المقدمة :

الحمد لله الذي لا عاصم سواه، ولا معبود إلا إياه بيده مبتدأ الخير ومنتهاه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ : وخير خلقه ومصطفاه، الذي بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، فتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها وهي بالحق مزدانة، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يُفتح عليه مغاليق خزائنها إلا المخلص السالك، ولا يعمى عن أنوارها إلا من ختم على قلبه وعقله، بعد أن سطع نورها في كل الممالك، ورضي الله عن الصحابة الذين حملوا هذه السُنّة، وأدّوها بأروع أداء. وعلموها من بعدهم حتى سادوا العالم وكانوا أيما علماء، ورضي الله عن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

١ - أسباب اختيار الموضوع :

أما بعد، فقد استفاض تعاملنا مع السُنّة النبوية المطّهرة من زاويتين اثنتين: الأولى: من حيث تاريخها وتوثيقها وطرق إثباتها. وقد امتد القول في هذا الجانب قروناً طويلة، بُعيد حركة الوضع في السُّنة حتى الآن. ومعلوم أن علماءنا نفوا عن السُنّة النبوية الزيف والدخيل - أو الأحاديث الموضوعة كما دُعيت - بالمنهج العلمي الذي أسسوه، والعلم الشامخ الذي استحدثوه، وأعني علوم الحديث ومصطلحه. وقد يبدو للباحثين في هذا الجانب، بين الحين والآخر، نقاط تستحق وقفة جديدة، أو أمور تستحق الدراسة والتعليق، ولكن يجب الاعتراف بأن بناء هذا العلم أضحى شامخاً، وقد لا تضيف إليه البحوث العلمية سوى التحقيقات والمراجعات والإضاءات .

أما الزاوية الثانية: فهي حُجية السُنّة ومدى اعتمادها والتعويل عليها بوصفها مصدراً للأحكام والتشريع. وإذا كان الجانب الأول السابق نهض به المُحدّثون، فإن هذا الجانب الثاني نهض به الفقهاء وعلماء الأصول. وما تزال الكتب التي أرّخت للفقه الإسلامي، أو تناولت مصادر التشريع تتحدث عن السُنّة النبوية بوصفها المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم؛ حتى كان للفقهاء والأصوليين في هذا الباب مصطلحاتهم الخاصة ومفاهيمهم التي كرّسوها في الكتب والموسوعات.

ولكن الحديث عن السُنّة النبوية بوصفها مصدرا للثقافة الإسلامية لم يَلْقَ حتى الآن

العناية التي يستحقها، على الرغم من الأهمية البالغة للسُنّة - بهذا الوصف - في حياة الفرد المُسلِم، والمجتمعات الإسلامية. ويعود السبب في ذلك فيما يبدو إلى أن هذا المصطلح (ثقافة) لم يوضع موضع التداول على هذا النحو الواسع إلا في وقت متأخر، بالإضافة إلى أن مفهوم هذا المصطلح أو دلالته لم يُتفق عليه حتى الآن. نظراً للإختلاف حول تعريف الثقافة الذي لم يُحسم بعد، ولن يُحسم كذلك أمام عشرات التعريفات التي وُضعت لهذه الكلمة حتى الآن.

وإذا كنا نرى أن الثقافة نظرية في السلوك أكثر من كونها نظرية في المعرفة يقول الأُستاذ مالك بن نبي[1] - على الرغم من أنها من الوجهة النظرية (معارف) تُكتب وتُدّون؛ فإن من الواضح أن الثقافة الإسلامية التي يعكسها سلوك الفرد المسلم في حياته اليومية مصدرها الأساسي هو السُنّة النبوية، لأن تفصيلات هذه الحياة في العبادة والأخلاق وصور التعامل كافة جاءت بها أو تكفلت بها السُنّة. ولهذا فإن الذين يزعمون أن في وسعهم الاستغناء عن السُنّة النبوية، اكتفاءً بالقرآن الكريم، يهدمون الشطر الأهم في حياة وسلوك الفرد المسلم والمجتمعات الإسلامية!

السُنّة مصدر للثقافة، أو السُنّة مصدر للسلوك والحياة أمر مهم جداً، ولكنه كذلك باب واسع... ولعله يتسع ليشمل كل ما جرت العادة بتسميته علوماً إنسانية واجتماعية من أخلاق وتربية واجتماع وسياسة واقتصاد....الخ، بل إن هذا يوحي لنا أو يفرض علينا الاعتقاد بأن هذه (العلوم الإنسانية والاجتماعية) ليست واحدة - كالعلوم التجريبية التي تتعامل مع المادة أو الطبيعة - ولكنها تتعدد بتعدد الثقافات. بل بتعدد الأديان كما سأوضح في الفقرة التالية.

الموضوع إذن مهم - فيما أُقدِّر - ولكنه كذلك واسع ومترامي الأطراف، وخصوصاً إذا سلّمنا بأن علينا أن نبحث عن ثقافتنا أو عن (علومنا الإنسانية والاجتماعية) في الحديث النبوي والهدي النبوي والسيرة الشريفة .. ولا يعدو هذا البحث أن يكون مقدمة أو فاتحة يبين أهمية الموضوع ومدى ضرورته وحيويته في عالم اليوم.

---

(١) شروط النهضة، ص ٨٢.

أهمية الموضوع:

لقد كثر في الآونة الأخيرة الحديث عن العولمة وعن صدام الحضارات. وإذا كانت العولمة تعني – من الوجهة اللغوية على الأقل – إكساب الشيء الصفة العالمية؛ فإن هذا معناه تعميم الثقافة ومنظومة القيم الغربية على العالم. وربما كان هو السبب – أو أحد الأسباب الحاسمة – في التبشير بصدام الحضارات: لأن الثقافة والقيم التي يُراد عولمتها أو تعميمها هي قيم الحضارة الغربية السائدة، أو التي ما تزال تفرض نفسها على مسرح التاريخ منذ بضعة قرون. ولابد لهذه الثقافة والقيم أن تصطدم بالثقافة والقيم الإسلامية بوصف هذه الثقافة إنسانية عالمية، وبوصف الثقافة الغربية أوروبية النشأة والخصائص. وهذا يعني الصدام الذي يبشّروننا به، والذي بدأت ملامحه في أحداث كثيرة شهدها أواخر القرن الماضي (العشرين ومطالع هذا القرن الحالي الحادي والعشرين) .. صدام بين العولمة والعالمية، أي بين ثقافة لا تملك مواصفات (العالمية) ولكن يُراد (عولمتها) وهي الثقافة الغربية، وثقافة تملك أصولها ومنطلقاتها – بل في واقعها التاريخي كذلك – كل مؤهلات وصفات (العالمية) وهي الثقافة الإسلامية، ولكن لم يكتب لها التعميم وسعة الانتشار لأسباب كثيرة؛ من أهمها تخلف أوضاع المسلمين، أو لأنهم لم ينجحوا – من خلال واقعهم – في الدفاع عنها والدعوة إليها .. إلى جانب أسباب أخرى كثيرة، داخلية وخارجية لا مجال هنا للحديث عنها.

هل يشهد القرن الحالي إذن صدام الحضارات حقيقةً؟ وإذا حدث هذا فهل يمكن فهم هذا الصدام أو يكون تفسيره بعيداً عن صدام الثقافات والعقائد والأديان؟ الجواب: لا، لأن صدام الحضارات قائم في الحقيقة على صدام الثقافات، لأن كل حضارة في التاريخ عبرّت عن نفسها من خلال ثقافة معينة، كما يقول بعض الباحثين الكبار[٢]. ولهذا فإن الفروق بين الحضارات لا يمكن البحث عنها في (العلم التجريبي) الذي لا تختلف قوانينه باختلاف الحضارات أو باختلاف الشعوب والأقوام، ولكن يجب البحث عنها في (ثقافات) هذه الأمم والشعوب. بل إن بعض فلاسفة الحضارة يؤكدون على الجذور الدينية التي تنتمي إليها كافة الثقافات. وهذا يعني أن صدام الحضارات في فحواه أو في التحليل الأخير صدام عقائد وأديان!

---

(٢) جذور الفكر القومي والعلماني، د. محمد عدنان زرزور: ص ١٤٧، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي ١٩٩٩م.

يقول الإستاذ مالك بن نبي رحمه الله: «فالحضارة لا تنبعث- كما هو ملاحظ - إلا بالعقيدة الدينية وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها،و لعله ليس من الغلو في شيء أن يجد التاريخ في البوذية بذور الحضارة البوذية وفي البرهمية نواة الحضارة البرهمية»[٣].

ويقول : ت. س إليوت في بيان صلة الحضارة والثقافة الأوروبية بالمسيحية: «في المسيحية نمت فنوناً، وفي المسيحية تأصلت - إلى عهد قريب - قوانين أوروبا. وليس لتفكيرنا كله معنى أو دلالة خارج الإطار المسيحي. وقد لا يؤمن فرد أوروبي بأن العقيدة المسيحية صحيحة، ولكن كل ما يقوله ويفعله يأتيه من تراثه في الثقافة المسيحية، ويعتمد في معناه على تلك الثقافة»[٤].

ولا خلاف عندنا نحن المسلمين على أن ثقافتنا دينية، بمعنى أن أصولها ومنطلقاتها جاءت في الكتاب والسُنّة. فإذا كنا نتعرض في هذا القرن لهذه الهجمة الشديدة من صدام الحضارات والثقافات والأديان، فإن صمودنا في هذه المعركة سوف يعتمد على مدى اعتمادنا على ثقافتنا وتعويلنا عليها، فهماً وممارسةً وسلوكاً. وقد وجدت أن من واجبي أن أعرض طرفاً من هذه الثقافة كما عبرّت عنها السُنّة النبوية المطهرة.

بالإضافة إلى أن مثل هذه البحوث تشكل نوعاً من المناعة ضد الثقافات المنقولة أو المترجمة - أو المستوردة كما يُقال - على وجه العموم، سواء مشت في ركاب العولمة أم لا. وعلينا أن نذكر أن الشخصية الإسلامية التي تقوم بالثقافة الإسلامية هي القادرة على الصمود وقبول التحدي كما أثبت التاريخ القريب والبعيد.

لقد دمر التتار معالم الحضارة الإسلامية، وقضوا على الدولة والخلافة عام ٦٥٦هـ وقتلو مئات الألوف، وقضوا على الصناعات ومعاهد العلم، وظنوا أنهم قد دفنوا حضارتنا ولكنهم ما لبثوا أن خضعوا لها.

---

(٣) شروط النهضة ص ٥٠ دار الفكر بدمشق.

(٤) ملاحظات نحو تعريف الثقافة لإليوت، ص ١٤٥، ترجمة د. شكري عباد. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. القاهرة.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث المختصر من مقدمة وتمهيد، ومبحثين، أما **المقدمة** فتتضمن الاستهلال وسبب التأليف وأهمية الموضوع، وأما **التمهيد** ففيه تعريف للثقافة والفرق بينها وبين الحضارة، وعلاقة الثقافة بالسُنّة النبوية، أو مدى تعبير السُنّة عن الثقافة الإسلامية.

وأما **المبحث الأول**: ففيه بيان لوظيفة السُنّة من الوجهة الثقافية (إشباع التطلع المعرفي، واستجابتها لسائر الاحتياجات الإنسانية).

وأما **المبحث الثاني**: فيتضمن الحديث عن الثقافة السلوكية في السُنّة النبوية، وهو آداب الثقافة الإسلامية.

منهجي في البحث:

لا شك أن هذا بحث مختصر. ولذلك فسوف أعتمد على الأمور الجامعة. والعبارات المختصرة. وأما بالنسبة للأحاديث المستشهد بها، فسوف يكون التعليق عليها مختصراً أيضاً.

وأما لُب الموضوع فإني اعتمدت فيه على جوامع الكلم من السُنّة النبوية، وبعض شروح السُنّة، ثم نظرت في كتب الذين تكلموا عن الثقافات وعوّلت على زبدة كلامهم أو خلاصة ما ذهبوا إليه، ثم أتبعته بزبدة ما هو معروف من سُنّة رسول الله ﷺ. وإن كان الموضوع في الواقع يستحق أن يُكتب فيه مجلدات. والله ولي التوفيق.

تمهيد

في تعريف الثقافة وبيان الفرق بينهما وبين الحضارة والعلاقة بين الثقافة والسُنّة النبوية

أولاً: تعريف الثقافة

كلمة ثقافة مأخوذة من فعل (ثقف) بضم القاف وكسرها، وهي تدور حول معنى واحد، وهو الإدراك مهما تعددت المعاني.

وهذه المعاني هي الأخذ والإدراك والاستقامة والإصلاح والفهم.

فتقول: ثقفت بالشيء إذا أخذته. وتُستعمل بمعنى الإدراك كقوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ...﴾[٥]. وهي تعطي أيضاً الظفر أي ظفرت بالشيء، كما تستعمل بمعنى الاستقامة والتقويم والتهذيب. فتقول: عود ثقف أي مهذب مستقيم من الاعوجاج، وثقّفت العود أي قوّمته وهذّبته. وهو معنى الإصلاح أيضاً. وتأتي بمعنى الفهم أيضاً، تقول: ثقف الرجل إذا فهم وفطن للأمور أي صار ذكياً، وثَقِفٌ أي ذكيٌ[٦].

وكل هذه المعاني تحتملها كلمة الثقافة فهي فهم وذكاء ومعارف، وهي استقامة وتقويم، لأنها تُقوِّم الإنسان وتجعله مستقيماً. وباختصار نستطيع أن نقول: إن الثقافة هي مجموع العلوم النظرية مع الإحاطة بتطبيقها[٧].

ونحن إذا استعلمنا اليوم كلمة الثقافة فلا نقصد بها الا مجموع المعارف التي تمتاز بها الأمة عن غيرها من الأمم، فلكل أمة ثقافة ولكل أمة وجهة هي مُوليتها. ولا يُعرف حال الأمة إلا من ثقافتها. وقديما كان مصطلح أو كلمة (العلم) تشمل جميع أنواع المعارف، المتصل

---

(٥) الآية (١٩١) من سورة البقرة

(٦) لسان العرب وتاج العروس مادة(ثقف).

(٧) الثقافة الإسلامية بين ما ضيها وحاضرها للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي،: الثقافة والثقافة الإسلامية لسميح عاطف الزين ص ٣١؛ والثقافة الإسلامية في الهند للشيخ عبد الحي الكنوي الحسني

منها بالطبيعة والمادة، أي ما بقي يُسمى (علماً) أو ما يتصل بالحياة والسلوك، والذي أضحى يُدعى (ثقافة) ولهذا قال بعض الباحثين: إن كلمتي (العلم) و(الثقافة) كانتا مترادفتين تماما، ولكنه علّل هذا التباعد بين هذين المصطلحين، أو علّل لماذا لم يعودا مترادفين بما يلي: قال: إن الغرب ومن درس في مدارسه يستعمل كلمة الثقافة بدل العلم هروباً من التفسير الذي لا محيد عنه، وهو أن العلم الشرعي يدخل في مدلول كلمة العلم. لأن المجتمع منذ نصف قرن فقط كان لا يطلق كلمة العالم إلا على من تعلم العلم الشرعي أولاً. فالطبيب يُقال له طبيب أو حكيم تجاوزاً. والخبير في الزراعة أو الهندسة الصناعية يُقال له خبير أو مهندس. ولما أرادوا أن يخرجوا عن هذا الإطار استعملوا كلمة الثقافة والمثقف على المتعلم الذي ذهب إلى المدارس والجامعات. لإضفاء الصبغة (العلمية) والحضارية عليه بقولهم إنه رجل مُثقف !! وقد لا يخلو هذا التفسير – على غرابته – من بعض الاعتبارات !

ثانيا: الفرق بين الثقافة والحضارة:

ثم إنهم في كثير من الأحيان يُعبّرون عن الرجل المثقف بالرجل المتحضر. وهذا الإطلاق وإن كان جائزاً إلا أن الكثيرين يخلطون بين المفهومين مفهوم الثقافة ومفهوم الحضارة، والواقع أن المصطلح (الحضارة) Civilization يشتمل على جميع مظاهر التقدم المعنوي (أو الروحي) والمادي عند الإنسان، بحيث يمكننا القول: إن كل حضارة في التاريخ عبّرت عن نفسها من خلال ثقافة معينة، كما نقلت قبل قليل. ولذا إذا صحت ثقافة الأمم أنتجت حضارة مبنية على أسس صحيحة، وإذا فسدت ثقافتها فسدت حضارتها، ويتمثل فساد الثقافة في بعض الأحيان في انفصال النظرية عن التطبيق (بوصف الثقافة نظرية في السلوك) أي في انفصال السلوك عن المعرفة أو النظرية عن التطبيق.

ثالثاً: علاقة الثقافة بالسُنّة النبوية:

السُنّة النبوية مفسِّرة لكلام الله سبحانه وتعالى فهي إذن مشتملة عليه وخادمة له، فمن تكلم عن السُنّة فإنما يتكلم أساساً عن كتاب الله سبحانه وتعالى لأنهما لا يفترقان ولن يفترقا إلى يوم القيامة.

فالسُنّة هي المصدر الأهم للثقافة الإسلامية، فوق أنها المصدر الثاني بعد القرآن الذي أذكى حركة العقل والعلم في الإسلام بوجه عام، فقد حضت على العلم والتعلم، بعد أن كانت أول كلمات القرآن الكريم نزولاً: ﴿اقرأ﴾. وقد بيّنت السُنّة أن هذا الأمر حتم وفرض، فقال

رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٨] وبين النبي ﷺ فضله العظيم حيث قال: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة». «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[٩].

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: «من دخل مسجداً ليتعلم خيراً كان كالمجاهد في سبيل الله، ومن دخله لغير ذلك كان كالناظر فيما ليس له»[١٠]، وفي رواية الترمذي: «من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع»[١١].

وبينَّ ﷺ فضل العلماء فقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم وإن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»[١٢]، وفي رواية عند الترمذي وغيره: «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء»[١٣].

وقال أيضا : إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة»[١٤] .

(٨) الحديث أخرجه ابن ماجه في المقدمة برقم (٢٢٤) باب فضل العلماء والحث على العلم؛ والطبراني في المعجم الكبير (٢٤٠/١٠) رقم (١٠٤٣٩)؛ وفي المعجم الصغير (١٦/١)؛ وأورده في جامع البيان العلم وفضله من طرق كثيرة جداً، قال عنها المزي والزركشي: روي من طرق كثيرة تبلغ رتبة الحسن؛ كما نقل ذلك في الآلئ المنتشرة ص ٤٣؛ وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٦٦) هو حديث قوي؛ وهكذا قال العراقي وتابعه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين(٩٨/١)؛ وقال في العلل المتناهية ص ٢٦ روي من طرق كثيرة بعضها صالح؛ وقال في تنزيه الشريعة (٢٥٨/١) حسن غريب وحسّنه أيضاً في الدرر المنتثرة؛ وقال المناوي في فيض القدير عند شرح هذا الحديث: قال السيوطي: جمعت له خمسين طريقاً وحكمت بصحته لغيره.

(٩) هذا لفظ مسلم من حديث طويل أوله « من نفس عن مؤمن كربة...» كتاب الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القران. رقم (٢٦٩٩)؛ وأخرجه الترمذي (٢٦٤٦) أول كتاب العلم، وحسّنه.

(١٠) أخرجه أحمد (٣٥٠/٢) وبرقم(٨٥٨٧) ط دار الحديث عن أبي هريرة ؛ وابن ماجه (٢٢٧) في المقدمة ؛ وصححه الالباني في صحيح أبن ماجه جـ ٤٤/١ رقم (١٨٦)؛ وابن حبان (٨٧) في العلم باب وصف العلماء الذين لهم الفضل.

(١١) أخرجه الترمذي (٢٦٤٧)في العلم باب فضل طلب العلم، وقال: حسن غريب .

(١٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) في العلم باب فضل الفقه في العبادة وقال : حديث غريب .

(١٣) أخرجه أحمد ١٩٦/٥وبرقم (٢١٦١٢)، وأبو داوود (٣٦٤١) في أول كتاب العلم، والترمذي (٢٦٨٢) في العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وحسنه .

(١٤) أخرجه أحمد ١٥٧/٣ وبرقم (١٢٥٣٧) وفي إسناده أبو حفص وهو مقبول عند كثيرين .والإسناد حسن، وقال الهيثمي : (١٢١/١) هو مجهول . والأحاديث التي معنا تشهد لمعناه .

وهذا ارتفاع بشأن العلم والعلماء لم تعرفه أمة من الأمم، ولا ريب أن المراد بالعلم والعلماء في هذه الأحاديث: الثقافة والمثقفون بالمعنى الذي أشرنا إليه لأن النبي ﷺ كان يتحدث عن (العلم الديني) إن صح التعبير، أو عن العلم الذي يظهر أثره في عقيدة وسلوك الفرد المسلم، والأمة المسلمة. ولهذا، فإن وسعنا أن نقول: إن السُنّة رفعت من شأن الثقافة والمثقفين حتى جعلتهم ورثة الأنبياء في الدنيا ومع الأنبياء في الآخرة.

كما انفردت الثقافة الإسلامية بأبواب خاصة لم يشاركها فيها سائر الأمم مثل أدب العلم الذي أفرده النبي ﷺ بقوله «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تعلمون منه»[١٥].

وأوجب على العالم أن يبث الذي تعلمه بين المسلمين وإلا فهو في النار، كما قال عليه الصلاة والسلام: «من كتم علماً نافعاً يعْلمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار»[١٦].

(١٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/٢٠٠) رقم (٦١٨٤)؛ وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٤٢)؛ وضعّفه الهيثمي في المجمع (٢/١٢٩)؛ وحسّنه المنذري في الترغيب (١/١١٤) من طريق أبي نعيم.

(١٦) أخرجه أحمد (٢/٤٩٩) وبرقم(١٠٤٣٥)؛ وابن ماجه (١/٩٧) رقم (٢٦٥) في المقدمة؛ والطبراني في الكبير (١١/٥) رقم (١٠٨٤)؛ وابن حيان (١/٥٥) رقم (٩٥) (الإحسان)؛ والحاكم (١/١٠٢) وصححه وأقره الذهبي؛ وقال الهيثمي في المجمع (١/١٦٣) رواه أحمد والطبراني ورجاله موثقون

المبحث الأول

السُنّة النبوية ووظيفتها الثقافية

وفيه مطلبان

المطلب الأول : إشباع التطلع المعرفي

المطلب الثاني: إشباع الاحتياجات البشرية

المطلب الأول

إشباع التطلع المعرفي

لقد أشبعت الثقافة الإسلامية التطلع المعرفي عند الإنسان، وبخاصة من خلال العقيدة التي قدمت له الإجابه الشافية عن أسئلته الأساسية؛ ومشكلاته الكبرى، التي تتلخص في إرشاده إلى الخالق، وتعريفه بأسمائه الحُسنى وصفاته العليا، وفي تحديد المبدأ والمعاد، إلى جانب إعطائه معايير الخير والشر، والبر والإثم، والحلال والحرام، والقيم والأهداف بوجه عام. ثم لما جعلته (مركز) الكون إن صح التعبير، بوصفه عبداً لله وسيداً للطبيعة، لأنها سُخِّرَتْ له وقصد بها نفعه واستمرار حياته على الأرض. قال تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[١٧]

(١) وقال جلّ شأنه: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً...**﴾. [١٨].

(٢) وقال تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[١٩]

---

(١٧) الآية (٦٥) من سورة الحج .

(١٨) الآية (٢٠) من سورة لقمان .

(١٩) الآية (٢٢) من سورة البقرة.

وهناك أمور يجب أن يقف التطلع المعرفي دونها ولا يشتط في ابتغاء الوصول إليها، مثل محاولة الوصول إلى معرفة كنه ذات الله سبحانه وتعالى. فنهانا النبي أن نفكر في ذلك.

فقال عليه الصلاة والسلام: «تفكروا في ألاء الله ولا تفكروا في الله»[٢٠]. لأن الله سبحانه وتعالى لا تدركه العقول والأفهام وكل ما خطرعلى بالك فالله بخلاف ذلك ﴿**لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[٢١]. و﴿**...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[٢٢].

وكذلك معرفة سر الروح فلا يجب أن نتعب أنفسنا فيها. حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[٢٣]. أي أن هذا القليل الذي أوتيتم من العلم لا يؤهلكم للوقوف على كنه الروح أو معرفة حقيقتها.

أما فيما لم يمنع الإنسان من البحث فيه؛ فإن الإشباع المعرفي يتجلى في الثقافة الإسلامية بأبهى صورة، حيث يستفز الإنسان للتطلع، ثم هو يجيب عن هذا التطلع.

بأن ننظر ماذا في السماوات والأرض ويجيب عن هذا السؤال بعشرات الآيات ليشبع فضول هذا الإنسان المتطلع إلى المعرفة. فيخبرنا عن السماوات وأنها سبع وأنها مع الأرض كانتا كتلة واحدة، ليُعرفنا عن بداية النشأة التي يتساءل عنها دائماً

فيقول سبحانه: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾[٢٤]

ثم يُخبر عن بديع صنعه في السماء ليزيد العقول تفكراً ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾[٢٥]، ويقول عن الأرض: ﴿**وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا**

---

(٢٠) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٥٠/٦) رقم (٦٣١٩)؛ وابن عدي في الكامل (٢٥٥٦/٧)؛ وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦٦/٦) وإسناد أبي نعيم حسن؛ كذلك قال العراقي والزبيدي. انظر إتحاف السادة المتقين(١٦٢/١).

(٢١) الآية (١٠٣) من سورة الأنعام.

(٢٢) الآية (١١) من سورة الشورى.

(٢٣) الآية (٨٥) من سورة الإسراء.

(٢٤) الآية (٣٠) من سورة الأنبياء .

(٢٥) الآية (٤٧) من سورة الذاريات.

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾[٢٦]، وقال ﴿**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[٢٧]، وأخبرهم عن البحر وعجائبه وما يجري فيه، فقال: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**﴾[٢٨] وأخبرهم عن شيء لم يكونوا يُدركونه ولو ظلوا مئات السنين يبحثون. فقال ﴿**وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**﴾[٢٩] فأخبر أن البحر تحته نار تشتعل. فهو مالح لأنه إذا برد على السطح فإن ملوحته تمنع فساد الميتة فيه، وفي الأعماق تغلي الماء فلا تفسد الرواسب. فإذا وصلت إلى الأعماق احترقت للتتحول إلى أشياء كثيرة تخرج مرة ثانية إلى سطح الأرض بطرق شتى وبقدرة القادر العظيم.[٣٠] وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[٣١].

ثم بعد ذلك يخبر عن النهاية الحتمية لهذا الكون، فبعد أن أخبرنا عن انشقاق السماء وانفطارها وانكدار النجوم وانطماسها يخبرنا أن كل شيء سيعود كما كان، فيقول سبحانه: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[٣٢]

ثم يستفز الإنسان للبحث عن ذاته وبدايته ونشأته وأطواره. فيقول سبحانه وتعالى: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ❖ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ**﴾[٣٢]، وقال أيضاً: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ❖ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ❖ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[٣٣] بل يخبرنا بالنشأة الأولى التي لا تذكرها

---

(٢٦) الآية (١٩) من سورة الحجر.

(٢٧) الآية (١٥) من سورة النحل.

(٢٨) الآية (٣٢) من سورة الشورى.

(٢٩) الآية (٦) من سورة الطور

(٣٠) راجع ((الإعجاز العلمي في القرآن الكريم)) للدكتور زكريا هميمي ص١٤٣ وما بعدهاو من ص١٥١-١٥٤؛ و((آيات الله في البحار)) للأستاذ ماهر أحمد الصوفي، من ص١٠٥-١٢٦؛ و((الظواهر الجغرافية في القرآن الكريم)) للدكتور فوزي الشربيني، ص٤٣-٤٦، ومن ص ٦٩ وما بعدها، وص١٢٢-١٢٤، و((النظرية القرآنية الكونية حول خلق العالم))، لسليم الجابي، ص٢٩ وما بعدها وص١٠٧-١٠٨،

(٣١) الآية (١٠٤) من سورة الأنبياء.

(٣٢) الآية (١٠٤) من سورة الأنبياء.

(٣٣) الآيتان (٥) و(٦) من سورة الطارق.

الكتب الأولى، وهي أننا خُلقنا في عالم الأرواح أولاً، وأخذ علينا العهد أن نؤمن بالله. يقول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[٣٥].

وفي هذه الآيات يهيئ لنا القرآن المناخ الثقافي للمعرفة الطبية: أو التعامل (العلمي) الصحيح مع الطب والتشريح، وتبين السُنّة معالم هذه الثقافة الطبية إن صح التعبير بكل فروعها أيضاً. بداية من الثقافة الغذائية؛ مروراً بالتداوي النافع، مبيناً ذلك في حديث جامع شامل بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن كان في شيء مما تداوون به شفاء ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار وما أحب أن أكتوي»[٣٦].

ولا يتوقف عند هذا الحد بل يتعمق أكثر من هذا حتى يتكلم عن علم الجراثيم، والتي تحتاج إلى المعامل والمختبرات فيقول عليه الصلاة والسلام: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه...الحديث»[٣٧]، ويقول أيضا: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فاغسلوه سبعاً إحداهن بالتراب»[٣٨].

وقد ظل العلماء يبحثون في مثل هذه الأحاديث حتى توصلوا منذ فترة إلى صدق هذا الكلام[٣٩]، ولكنه يقدم لنا فوق هذا : التداوي بكلام الله الشافي فيقول عليه الصلاة والسلام: «عليكم بالشفاءين العسل والقرآن»[٤٠].

بعد هذا بينَّ النهاية وهي الموت ومن ورائها البعث والنشور. فقال تعالى: ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ**

---

(٣٤) الآيات (١٢-١٤) من سور المؤمنين.

(٣٥) الآية (١٧٢) من سورة الأعراف.

(٣٦) أخرجه الإمام احمد في المسند (٣٠١/٦) وبرقم (٢٧١٣١)؛ والطبراني في الكبير (٤٣٠/١٩) رقم (١٠٤٤)؛ وقال الهيثمي في المجتمع (٩١/٥) رجالة رجال الصحيح خلا سويد وهو ثقة.

(٣٧) أخرجه البخاري (٣٣/٧) (طبعةاستنبول)؛ واحمد(٢٢٩/٢) و أبو داود(٣٨٤٤) في الأطعمة

(٣٨) أخرجه احمد ومسلم رقم (٢٨٠) في الطهارة باب حكم ولوغ الكلب.

(٣٩) راجع بحث للدكتور شرف القضاة بعنوان (هل احاديث الطب النبوي وحيٌ؟، المنشورة في مجلة مؤتة للبحوث والدراسات - مجلة علمية محكمة - تصدر عن جامعة مؤتة- الأردن-المجلد (١٧) العدد (٦) السنة (٢٠٠٢م).

(٤٠) أخرجه ابن ماجة في الطب برقم (٣٤٥٢) وصححه البوصيري. كما صححه الحاكم في المستدرك (٤٠٣/٤) ووافقه الذهبي.

﴿ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[٤١]، وبينت لنا السُنّة أن هذا البعث للحساب لأن الإنسان لم يُخلق عبثاً فيقول الرسول ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله فيما اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه فيم عمل به»[٤٢].

ثم أخبرنا القرآن عن عذاب النار وألمه قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٤٣]، وهذه الجلود غلظها شيء لا يخطر على البال، فقد جاء في الحديث: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً»[٤٤] وورد «أن ضرس الكافر في النار مثل أُحُد»[٤٥]، وفي رواية عند مسلم «ضرس الكافر مثل أُحُد وغلظ جلده مسيرة ثلاث ليال»[٤٦] وعند أحمد «مقعد الكافر ما بين صنعاء إلى أيلة»[٤٧] أي القدس

(٣) وأما الجنة ففيها الأشجار والأنهار والحور والنعيم الذي وصفه القرآن ووصفته السُنّة بأوصاف كثيرة. وحتى يبقى الفكر منشغلاً إلى ما لا نهاية بالتفكير بذلك النعيم قال عليه الصلاة والسلام «إن الله أعد لعباده الصالحين في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت

---

(٤١) الآيتان (١٥-١٦) من سورة المؤمنون.

(٤٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٧) في اول كتاب صفة القيامة. وقال: حسن صحيح؛ والدرامي (١٣٥/١) في العلم والطبراني في الكبير(١٠٢/١١) والصغير(٢٦٩/١): وعزاه الهيثمي (٣٤٦/١٠) للطبراني والبزار. وقال رجال الطبراني رجال الصحيح.

(٤٣) الآية (٥٦) من سورة النساء.

(٤٤) أخرجه مسلم في الجنة باب جهنم أعاذنا الله منها (٢٨٥١)؛ والترمذي (٢٥٧٨) في صفة جهنم، وقال: حسن غريب؛ و أحمد (٥٣٧/٢) وبرقم (١٠٨٧٣)؛ وابن أبي عاصم (٢٧١/١) رقم (٦١١)؛ وابن حبان (١٣١/١٦) رقم (٧٤٨٦) الإحسان.

(٤٥) أخرجه أحمد (٣٦٧/٤) وبرقم (١٩١٦٣)؛ وقال الهيثمي في المجمع (٣٩٢/١٠) رجال أحمد رجال الصحيح؛ والترمذي (٢٥٨٧٩) باب ما جاء في عظم أهل النار.

(٤٦) أخرجه مسلم (٢٨٥١) ضمن حديث طويل؛ وأحمد (٣٣٤/٢) وبرقم (٨٣٩١)؛ وابن أبي عاصم في السُنّة (٢٧١/١).

(٤٧) هو ضمن الحديث السابق عند أحمد (٣٣٤/٢)وبرقم (٨٣٩١).

ولا خطر على قلب بشر» وهو مصداق قوله تعالى ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٤٨]

(٤) وسار الكتاب والسُنّة في فتح الآفاق أمام التطلع المعرفي، ليس في حاضر المرء ومستقبله فحسب، بل في التاريخ وسيرة الأمم التي لا يعرف عنها الإنسان شيئاً. وفصَّل لنا رسول الله ﷺ أشياء من هذا القبيل. ما يبيح للإنسان أن يتساءل عن أحوال الأمم، لأن القرآن فتح هذا الباب. وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[٤٩] وكان يُعلمنا رسول الله ﷺ كيف نبحث عن تاريخ السابقين فيتمنى لو أن موسى صبر مع الخضر لحدث العجب فيقول عليه السلام « رحمة الله علينا وعلى موسى لو كان صبر لقص الله تعالى علينا من خبره »[٥٠].

ومما تقدم نعرف أن الثقافة في السنة جاءت لبناء الشخصية الإنسانية أولاً. صحيح أن ما تقدم هو إشباع للمعرفة. ولكن في نفس الوقت بناء إنساني حيث يتفتح العقل ويرتبط بخالقه، فيأخذ عنه أصول المعرفة وأسس الثقافة الحقّة التي لا ترتبط بالوهم ولا بالخرافات، بل بحقائق ثابتة بين يدي الإنسان.

وإذا تفتح العقل على المعرفة الصحيحة فإنه سيرفض الباطل الذي يعتقده أو يعيشه. وحتى لا يضل تَطَرَّق القرآن والسُنّة إلى واقع الإنسان الخرافي الذي يعبد الأصنام، ودعته إلى رفضها لأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع. وبالأحرى هي لا تخلق شيئاً.

وإذا رفض الإنسان الباطل بما توصل إليه من حق، فلا شك أنه سيتحرر من الأوهام والخرافات والموروثات الوثنية. كما فعل أحد الصحابة عندما تحرر من عبادة الأوثان ونظر إلى صنمه الذي بال على رأسه الثعلب فقال :

---

(٤٨) الآية (١٧) من سورة السجدة .

(٤٩) الآية (١٠٩) من سورة يوسف.

(٥٠) أخرجه مسلم (٢٣٨٠) في الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام؛ وابو داود (٣٩٨٤) في أول كتاب الحروف والقراءات ؛و أحمد (١٢١/٥) وبرقم (٢١٠٢٥)؛ والحاكم في المستدرك (٣٨٠/٢) و (٥٧٤) وصححه الحاكم وسكت الذهبي؛ وكلهم رووه من طريق أبي شيبة، وهو عنده في المصنف (٣٢/٧).

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذُلَّ من بالت عليه الثعالب[٥١]

وقال الآخر لما رأى صنمه مربوطاً بكلب في حفرة مليئة بالنجاسات:

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن[٥٢]

لقد وصل النبي بسُنّته وهديه بالأمة إلى ثقافة عُليا بنت الإنسان المثقف الذي لا خوف عليه، حتى قال عليه الصلاة والسلام: «لا أخاف على أمتي أن تشرك بالله»[٥٣]. فهذه الثقة العظيمة التي أعلنها الرسول في الأمة مصدرها ثقافة عظيمة لا يمحوها تقلب الليالي. وحق له عليه الصلاة والسلام أن يقول: « لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»[٥٤].

المطلب الثاني

إشباع الاحتياجات البشرية

لقد شملت الثقافة الإسلامية – كما عبرّت عنها السُنّة النبوية الشريفة – جميع وجوه النشاط الإنساني، وجميع مجالات تعامل الإنسان مع الله تعالى ومع النفس والمجتمع والعالم، كل ذلك على أسس إنسانية عامة لا أثر فيها لخطاب قومي أو بيئي أو زماني، أو طارئ أو موقوت.

ونعرض فيما يلي لأبرز مجالات أو وجوه هذا الخطاب الذي دار حول الإنسان، والذي أشبع جميع الاحتياجات الإنسانية أو البشرية، وأجاب عن جميع الأسئلة والتطلعات. ولا شك في أن الحضارة المتوازنة لا يمكن أن تُبنى إلا على ثقافة إنسانية شاملة ومتوازنة. وهذه

(٥١) سيرة ابن هشام (١/١١٢).

(٥٢) المرجع السابق (١/١٢٢).

(٥٣) أخرجه البخاري (٣١٥٨) في الجزية باب الجزية والموادعة؛ ومسلم (٢٩٦١) في الزهد؛ وابن ماجه (٢/١٣٢٤) رقم (٣٩٩٦). وأخرجه أحمد (٤/١٤٩) وبرقم (١٧١٦٨).

(٥٤) أخرجه ابن ماجه (١/٤) رقم(٥) أول المقدمة باب اتباع سُنّة رسول الله وابن أبي عاصم في السُنّة (١/٢٧) رقم(٤٩) عن العرباض بن سارية، وبرقم (٤٧) عن أبي الدرداء؛ والطبراني في الكبير (١٨/٢٤٧) رقم (٦١٩) عن العرباض وألفاظه متقاربة. وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (٦٨٨).

هي الثقافة التي نزل بأصولها الكتاب الكريم، وبيَّنها في جميع أبواب التعامل النبي الكريم في سُنّته الشريفة.

ونعرض فيما يلي لملامح هذا التعامل وأسسه ومنطلقاته.

أولاً: اللغة

وهي قاعدة بناء الثقافة، بل هي مرآة الثقافة كلها كما قال بعض العلماء[٥٥] لأن ما يعتقده المرء ويفعله أو يصنعه يحمل اسماً، ولهذا فإن السُنّة النبوية اهتمت باللغة اهتماماً كبيراً. وقد أرسى هذا الاهتمام أو شكَّل قاعدته قوله تعالى ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[٥٦]. واللغة العربية هي لغة الثقافة الإسلامية أو لغتها الأم، وتمتاز هذه اللغة بالإيجاز الذي يعطي المعنى المطلوب أو يعطي عدة معانٍ في كلمة واحدة أو وقت واحد، كما تمتاز بالفصاحة والبيان.

ولذا يقول الرسول ﷺ « أوتيت جوامع الكلم »[٥٧].

ومن هنا كان أفصح العرب، كما أعلن ذلك هو عن نفسه وأنه من قبيلة هي أفصح القبائل فقال عليه الصلاة والسلام «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد»[٥٨]. وكان يحث على تعلم الشعر وندب الناس إلى أن يدركوا المعاني الجميلة فيقول «أشعر بيت قالته العرب:

ألا مـــا خـــلا الله بـاطـل وكـل نـعـيـم لا محـالـه زائـــل»[٥٩].

وكان يعلن إعجابه بفصاحة الفصيح وبلاغة الشاعر فيقول: "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً"[٦٠]

---

(٥٥) راجع كتاب : فلسفة التربية للأستاذ فيليب فينيكس، ترجمة الدكتور محمد لبيب النجيحي، ص ٦٤٨.

(٥٦) الآية (٢) من سورة يوسف.

(٥٧) أخرجه مسلم في أول المساجد ،و ابن أبي شيبة(١١/٤٨٠) رقم (١٤/١١٧)؛ وأحمد (٢/٤٤٢) وبرقم (٩٦٦٦) عن أبي هريرة .

(٥٨) أخرجه ابن عساكر (١٣/١٥٥)رقم (٢٢٥٧)؛ والقاضي عياض في الشفا(١/١٧٨).

(٥٩) أخرجه البخاري (٨/٤٣) في الفضائل باب أيام الجاهلية" فضائل الصحابة - كتاب مناقب الأنصار حديث رقم (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦) في أول كتاب الشعر: والترمذي (٢٨٤٩) في الأدب باب ما جاء في انشاد الشعر.وقال: حسن صحيح : وابن ماجه (٣٧٥٧) في الأدب باب الشعر.و أحمد (٢/٣٩١) وبرقم (٩٠٦٠) .

(٦٠) أخرجه أحمد (٤/٤٧٠) وبرقم (١٥٨٠٥)؛ والبخاري في الأدب المفرد باب كثرة الكلام رقم (٨٨٠).

كثيراً ما يطلب من الشعراء أن ينشدوا من شعرهم. وكان يعجبه شعر أمية بن أبي الصلت لاشتماله على الإيمانيات والحكم[٦١]، وإذا سمع شيئاً من شعره قال «كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»[٦٢].

وقد بُنيت الثقافة الإسلامية على هذه اللغة، وكان خلود هذه اللغة سبباً في بقاء الثقافة الإسلامية حيّة فاعلة مؤثرة. لأن خلود اللغة نابع من خلود القرآن الذي تكفل الله تعالى بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٦٣]. وبهذه اللغة كان أفراد الأمة الإسلامية يتعاملون في الشرق والغرب - أي أن دورها بصفتها لغة تخاطب في الحياة اليومية - وهذا باب من أبواب الثقافة أو مظهر من مظاهرها - لم ينقطع، إلى جانب دورها المعرفي والعلمي. وقد حاول الاستعمار أن يفرض لغته فلم ينجح، كما حاول أن يجند أجناداً من أتباعه لنشر اللغة العامية أو اللهجات العامية، فلم ينجح أيضاً. وهو الآن يحاول إضعاف اللغة عن طريق المدارس التي تعمل بقوانينه ووفق مناهجه التربوية والتعليمية. ولكنه لن ينجح كذلك لأن الأمة ما تلبث أن تعلم أنها لن تتقدم حتى تعود لدينها. وإذا أرادت أن تفهم دينها فلابد أن تعود للغة العربية التي لا يُفهم القرآن ولا السُنّة إلا بها.

ثانياً الدين:

والدين لم يأت للعبادة فقط، وإنما جاء ليسد الاحتياجات البشرية وينظم معاملات الناس ويضبط حركة مجتمعهم ويصحح سلوكهم، وإذا كان هذا كله قد ارتبط بقاعدة التحريم والتحليل، أو بالأحكام الشرعية، فمن أجل أن يعلم أن كلمة (حرام) آتية من عند الله وأن كلمة (واجب) صادرة من عند الله، وكلمة (حرام) تُعلِّم المرء التطهر من الآثام والذنوب. وأما المكروهات فتُعلِّمهُ التعالي عن الصغائر والتفاهات.

أما (الواجب) فيعلمه الانقياد والانصياع لأوامر الله، ويجعل أوامر الله أهم من دنُياه، بل هي التي تُصلح له دنياه وأخراه. وفي السُنن والمندوبات يتعلم السمو الروحي، حيث

---

(٦١) ورد في صحيح مسلم أن النبي ﷺ استنشد من شعر أمية بن أبي الصلت، رقم (٢٢٥٥) أول الشعر وأخرجه أحمد (٣٨٨/٤) وبرقم (١٩٣٤٩) والطبراني في الكبير (٣١٥/٧) رقم (٧٢٣٧) .

(٦٢) أخرجه البخاري - ٦١٤٧) في الأدب باب ما يجوز من الشعر. ومسلم أول كتاب الشعر رقم(٢٢٥٥).و أحمد (٣٩٣/٢) وبرقم (٩٠٨٥)

(٦٣) الآية(٩) سورة الحجر .

يتعامل مع ربه في كل النوافل، دون أن ينتظر أجراً في الدنيا وإنما يبتغي الأجر في الآخرة، فيخرج من العبادة إنساناً ملائكياً طاهراً طيباً صحيح الاعتقاد صحيح السلوك.

فإذا جاءت الأوامر والنواهي في المعاملات استقبلها كما يستقبل العبادة، وعمل بحلالها لأنها من عند الله تعالى. واجتنب نواهيها لأنه ينهي من عند الله تعالى فالعمل عنده عباده. والمعاملة عبادة. وحُسن الخُلق عبادة. وحب الناس عبادة. وأذى الناس حرام وسوء الخُلق حرام، وكراهية الناس حرام. كل ذلك جعلته السُنّة منتظماً في عقد بديع رائع متماسك. ولا يوجد سلوك يُعبرِّ عن الثقافة، أو يكون مرآة لها ودليلاً عليها أكثر من هذا الذي جاءت به الثقافة الإسلامية في نطاق الدين.

١ - العبادة:

وهنا سوف أتكلم عن جانب واحد من العبادة، الذي قلت إنه يُصحح السلوك البشري، ويجعل من تصرفاته تصرفات الإنسان المثقف المتحضر. ففي الطهارة جاءت السُنّة بعجيب الثقافة وإبداعها، حيث جعلت الإنسان المتطهر مستنيراً راضياً عن نفسه بطهارته، ويُرضي الآخرين بنظافته، ويُرضي ربه باتباع أوامره.

ولذا قال النبي ﷺ « الطهور شطر الإيمان »[٦٤].

والطهارة بالماء الطاهر، - كما هو معلوم من السُنّة - يشمل الاغتسال من الجنابة ليصبح نشيطاً نظيفاً بعيداً عن التكاسل. ويشمل التطهر من النجاسات في البدن والثوب والمكان، وفي حالة الضرورة - عند عدم الماء - أُبيح التيمم، فقال رسول الله ﷺ «التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين »[٦٥]. التيسير يجعل المسلم مرتبطاً بدينه معتزاً بثقافته لأنه يوقن أن الله أمرنا بالطهارة لمصلحتنا لا يريد بنا عسراً ولا عنتاً ولا مشقة.

والصلاة التي هي ارتقاء روحي في معراج الإيمان، جاءت مرتبطة بسلوك الإنسان. لذا

---

(٦٤) أخرجه مسلم (٢٣٣) في الطهارة باب فضل الوضوء؛ والترمذي (٣٥١٩) والنسائي (٢٤٣٧) وابن ماجة (٢٨٠) والدارمي (٦٥٣) كلهم ضمن حديث طويل مشهور . وأحمد (٤/٢٦٠) وبرقم (١٨٢٠٠٣)

(٦٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٩٧/٨) والدار قطني (١/١٨٠) والحاكم في المستدرك (١/١٨٠) وقال: لم يخرجاه، إنما ذكراناه في الشواهد، وسكت عنه الذهبي وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته ج١/ ٥٧٩ برقم (٣٠٢).

يقول الله تعالى ﴿.. **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾[٦٦] وقال عليه الصلاة والسلام « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له»[٦٧].

وفي **الصوم** يتشبه الإنسان بالملائكة فلا يأكل ولا يشرب ولا يقرب الجماع ولا الرفث - أي دواعيه - ولا الصخب ولا الغيبة ولا النميمة ولا مشاتمة الناس. كما قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يصخب فإن شاتمه أحد فليقل اللهم إني صائم»[٦٨]. فإن لم يلتزم بذلك لم يأخذ من صومه شيئاً. كما قال عليه الصلاة والسلام «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[٦٩].

وفي الزكاة يتعلم المسلم كيف يراعي أمور الآخرين من أمته، فشعوره بفقر الفقير وحاجة المحتاج يجب أن يكون مترجماً على أرض الواقع فيدفع الزكاة طيبة بها نفسه، وهي طهرة من الشُح والحرص، ونظر إلى ماعند الله من ثواب عظيم. حيث يقول الله سبحانه وتعالى ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[٧٠]. وقال رسول الله ﷺ «الزكاة طهور»[٧١]. وهي في نفس الوقت تُحرك الاقتصاد، وتوفر على الدولة كثيراً من النفقات.

وفي الحج يتجرد الإنسان من الدنيا تجرداً كاملاً. فيخرج من منزله ويخلع ثيابه التي يتباهى بها، ويبتعد عن العمران ليقف على أرض جرداء لا يدعو إلا الله ولا يرتبط إلا بالله.

---

(٦٦) الاية (٤٥) من سورةالعنكبوت.

(٦٧) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٤/١١) وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٨/٢) فيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة لكنه مُدلس .

(٦٨) أخرجه البخاري (٣٤/٣) في الصوم باب هل يقول إني صائم. و(١١٥١) في الصيام أيضاً؛ وأبو داود كذلك (٢٣٥٥) والنسائي (١٦٣/٤) أحمد (٤٧٤/٢) وبرقم (١٠٠٨٨) .

(٦٩) أخرجه البخاري (٣٣/٣) في الأدب قول الله تعالى (واجتنبوا قول الزور) وأبو داود في الصوم باب الغيبة للصائم؛ والترمذي (٧٠٧) وابن ماجه(١٦٨٩) أحمد (٤٥٣/٢) وبرقم (٩٨٠٠).

(٧٠) الآية (٢٦١) من سورة البقرة.

(٧١) خرجه أبو حنيفة بإسناد صحيح. كما جاء في جامع المسانيد (٤٩٩/٢). وكما يشهد له كثير من الأحاديث الواردة عند البخاري وغيره .

وفي نفس الوقت يُعامل الناس برفق ولطف وهدوء كما قال رسول الله ﷺ «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[٧٢].

وهكذا نرى أن العبادة البحته المطلوبة من الإنسان ماهي إلا تصحيح لسلوك الأفراد وتهذيب لهم. فيصبح مستعداً بعد ذلك لتلقي الأوامر والنواهي لإعمار هذه الأرض بالتعاون مع الغير.

٢ - المعاملة (وجوه التعامل ومجالاته المختلفة)

في المعاملة تجتمع كل حركة الكون بجانبيها النظري والعملي، وقد أسست السُنة النبوية جميع قواعد هذه الحركة في مجالاتها المتعددة، وأبرزها في الجانب النظري ما يلي :

١ - مجالات التصور الكوني .

٢ - مجال المفاهيم.

٣ - مجال المنهجية.

٤ - مجال النظرية المعرفية.

٥ - مجال الأخلاق وقوانينها.

٦ - مجال القوانين الثقافية.

٧ - مجال المشروع الاجتماعي.

٨ - مجال التنظيم وضوابطه.

أما في المجال العملي السلوكي فقد شملت السُنّة كل المجالات التالية :

١ - مجال الواقع الإنساني.

٢ - مجال السلوك البشري.

٣ - مجال الجهد البشري.

---

(٧٢) أخرجه البخاري (١٨١٩) في المحصر. ومسلم في الحج باب فضل الحج (١٣٥٠) والترمذي (٨١١) والنسائي(٢٦٢٧) و أحمد (٢/ ٤١٠) وبرقم (٩٢٨٢).

٤ – مجال المعاش والعمران.

٥ – مجال التاريخ والسير في الأرض [٧٣]

هذه المجالات التي يذكرها الكُتّاب المشتغلون بالثقافة الإسلامية، والمحللون لعناصرها ومكوناتها؛ نجدها أوضح ما تكون في السُنّة النبوية. ولا نستطيع هنا أن نفصل القول في كل هذه المفردات في هذا البحث المختصر. ولكن سوف نأتي بأمثلة جامعة ونحيل القارئ والباحث إلى المراجع الحديثية المشتملة عليها وعلى كل حركة في الحياة؛ ليرى بنفسه كيف عبرَّت السُنّة النبوية عن الثقافة الإسلامية أوسع تعبير. وإن كان ما نورده بعد قليل كافياً للتدليل على ذلك.

تقدم معنا الحديث عن إشباع التطلع المعرفي. وأن السُنّة تكلمت عن خلق الإنسان وأصله وأوله ومنتهاه وعالم الأرواح، كما تكلمت عن أصل الكون ومبتدئه ومنتهاه وأفلاكه وما وراء الكون مثل عالم العرش والكرسي واليوم الآخر.

وسوف أتحدث في المبحث التالي عن الثقافة من الوجه السلوكي .

أما حديثنا الآن فهو عن المجالات النظرية التي أشرت إليها، والتي جاءت في سياق الحديث عن إشباع الاحتياجات البشرية التي تناولتها في هذا المطلب.

وأول الاحتياجات البشرية هي الغذاء، والحصول على الغذاء يحتاج إلى عمل والعمل يحتاج إلى معاملة فيما بين الناس، ويحتاج إلى آفاق، والمعاملة تحتاج إلى نظم وأخلاق، والآفاق تحتاج إلى مفاتيح للبحث عنها والتعامل معها، وينتج عن ذلك علم الاقتصاد والاجتماع، ثم علوم الجيولوجيا والزراعة والصناعة. وينشأ عن ذلك وجود مجتمعات وهذه المجتمعات هي التي تشكل الدولة، والدولة لا بد لها من أسس فينشأ عن ذلك علم السياسة والقانون وتنظيم العمران. والموازنة بين حاجة الفرد وحاجة المجتمع.

* أما العمل فقد علمتنا السنة قيمة العمل حيث يقول الرسول ﷺ «من أمسى كالاً من عمله أمسى مغفوراً له»[٧٤].

---

(٧٣) الثقافة والثقافة الإسلامية: سميح عاطف الزين (ص:٢٣١)

(٧٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٩٠/٣) وقال الهيثمي في المجمع (٦٣/٤) فيه جماعة لم أعرفهم. وعزاه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/٦) لابن عساكر وأشار إلى ضعفه لكنه أورد له شواهد كثيرة ترقى به.

* وأرست السنة محاربة البطاله وتكفف الناس، فقد جاء رجل يسأل النبي ﷺ مالاً فوجده صحيح الجسم فقال له هل «عندك شيء»؟ فقال: لا إلا حلس ننام عليه وقعب نشرب به، فقال «ائتني بهما» فأتاه بهما، فقال ﷺ «من يشتري هذين» فقال: أنا أشتريه بدرهم. فقال «من يزيد» فقال رجل: أنا أشتريه بدرهمين. فباعه له، ثم قال للرجل «خذ درهماً واشتر به شيئاً لعيالك. ثم اشتر بالدرهم الآخر قدوماً. واذهب إلى الجبل فاحتطب. ولا أراك إلا بعد خمسة عشر يوماً» فجاء الرجل وقد اشترى فراشاً لأهله وفضل معه شيء[٧٥]. وفي مناسبة أخرى قال «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيبيعه خير من أن يسأل الناس»[٧٦].

وهذا العمل - بدوره- غير متروك للناس يتبايعون كيف شاؤوا، بل إن للبيع ولحركة المجتمع المالية والاقتصادية « ثقافتها» إن صح التعبير؛ فلا يدخل التاجر السوق إلا إذا تعلم الحلال والحرام وأحكام البيع والشراء

وإذا كان المجتمع لا يُدرك الأضرار المترتبة على بعض الأعمال أو التصرفات الاقتصادية في الحاضر أو المستقبل، فقد تكفّلت السُنّة النبوية ببيان ذلك، من خلال قانون التحريم والتحليل الذي أشرنا إليه، مثاله: الربا الذي لا تقتصر آثاره الفاسدة والضارة على الاقتصاد فحسب، بل تتعداها إلى العقيدة والأخلاق في النفس والمجتمع، فقد أعلن الله تعالى الحرب على آكلي الربا فقال تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ**﴾[٧٧].

والغرب يعلم أن الربا يحطم اقتصاديات العالم، وقد أعلنوا منذ زمن طويل أن أفضل الاقتصاد في العالم هو الذي تكون فيه فائدة القروض صفراً لكنهم يعمهون في ضلالاتهم، بل يريدون منا أن نحذو حذوهم ونسير في ركبهم، فلم يخرج الغرب من بلادنا حتى أسست البنوك، وحتى أذعن المسلمون للتعامل بالربا وبالعملة الورقية، وهذه العملة يسهل تجميدها - كما هو معلوم - بل ربما أمكن تحطيمها في بعض الأحيان، أو في بعض المواقف والظروف!

---

(٧٥) أخرجه أحمد (١١٤/٣) وبرقم (١٢٠٧٣) والترمذي (١٢١٨) والنسائي (٢٥٩/٧) كلاهما في البيوع باب بيع من يزيد. وابن ماجه في التجارات (٢١٩٨). وقد حسنوه .

(٧٦) أخرجه البخاري (١٤٩/٣) في الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة؛ ومسلم (١٠٤٢) في الزكاة؛ والترمذي (٦٨٠) والنسائي (٢٥٨٤) في الزكاة كلاهما.و أحمد (٤٩٦/٢) وبرقم (١٠٣٨٦)،

(٧٧) الآية (٢٧٩) من سورة البقرة.

* ثم إن هذا التعامل في البيع والشراء مبني على الأمانة حتى يأمن الناس في تعاملاتهم فلا يجوز الغش، لأن من غش الأمة خرج من جماعتهم، كما قال عليه الصلاة والسلام« من غشنا فليس منا »[٧٨].

* ونهى عليه الصلاة والسلام عن بيع كل مجهول يؤدي إلى المنازعة مثل نهيه عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها [٧٩].

ونهى عن بيع مالا يملك أو ما ليس عنده [٨٠]. ونهى عن بيع الغرر[٨١] وأرسى قواعد الشركات وأوصى بالعمال فقال« اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»[٨٢]. وفي قاعدة عامة شاملة قال عليه الصلاة والسلام« لا ضرر ولا ضرار»[٨٣].

وفي شؤون العلاقات الاجتماعية ضبط قوانين الزواج وبناء الأسرة فقال عليه الصلاة والسلام: «تنكح المرأة لأربع لمالها وحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[٨٤] وقال لأهل المرأة «إذا أتاكم من ترضون دينه وخُلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير»[٨٥].

---

(٧٨) أخرجه أحمد (٢٢٥/٥) وبرقم (٢١٨٥٤) وقال الهيثمي في المجتمع (١١٧/٤) رجاله رجال الصحيح. وأخرجه أيضاً الدار قطني (١٦/٣) رقم (٤٨).

(٧٩) أخرجه مسلم (١٠١) في الإيمان باب من غشنا فليس منا؛ حسن صحيح؛ وابن ماجه في التجارات (٢٢٢٤) والدارمي (٢٥٤١)، أحمد (٤٦٦/٣) وبرقم (١٥٧٧٧) .

(٨٠) أخرجه أبو داود (٣٧٣٣) في البيوع باب بيع الثمار قبل بدو صلاحها؛ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه جـ٢/٦٤٨ برقم(٢٨٨٤)؛ والنسائي (٤٩/٧) وابن ماجه (٢٢١٦)، و أحمد (٢٥٠/٣) رقم (١٣٥٤٧).

(٨١) أخرجه أحمد (٤٠٢/٣) وبرقم (١٥٢٤٨) والبخاري بنحوه في البيوع باب بيع الطعام قبل أن يستوفى رقم (٢١٣٦) وأبو داود (٣٥٠٣) في البيوع باب ما ليس عنده؛ والترمذي (١٢٣٢) مثله. وحسنه؛ والنسائي (٢٨٩/٧) رقم (٤٦١٣) وابن ماجه (٢١٨٧) .

(٨٢) أخرجه أحمد (٤٩٦/٢) وبرقم (١٠٣٨٨) وأبو داود (٣٣٧٦) في البيوع باب بيع الغرر والترمذي (١٢٣٠) مثله. وقال: حسن صحيح.

(٨٣) أخرجه ابن ماجه (٢٤٤٣) في الرهون باب أجر الأجراء؛ والطبراني في المعجم الصغير (٢٠/١) وأورده الهيثمي في المجمع (٩٧/٤) بشواهده وهي حسنة

(٨٤) أخرجه أحمد (٣١٣/١) وبرقم(٢٨٦٧) وابن ماجه (٣٣٤٠) في الأحكام باب من بنى في حقه ما يضر جاره، وصححه الحاكم في المستدرك (٥٨/٢) ووافقه الذهبي .

(٨٥) أخرجه البخاري (٩/٧) في النكاح باب الأكفاء في الدين؛ ومسلم (١٤٦٦) في الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين؛ وأبو داود (٢٠٤٧) مثله، و أحمد (٤٢٨/٢) رقم (٩٤٨٩) .

وفصلّ الثقافة الزوجية أو ثقافة الحياة الزوجية – التي تُعد حجر الزاوية في ثقافة المجتمعات – بما فيها خير الطرفين خير تفصيل، حتى تكلم عن أدق العلاقة بين الزوجين، تفصيلاً أدبياً يُعلِّم ولا يفضح، ويُبيِّن ولا يكشف، فتجد الأمور كلها متوازنة دون أن يطغى حق على حق، وسبق بذلك كل الثقافات الأخرى بدون استثناء! والطريف في هذا الباب: اتهام المسلمين بأنهم لا يعرفون الثقافة الجنسية، وربما كانوا يعنون بذلك: ثقافة الإثارة، أو الفجور! ولا ريب في أن هذه لا تعرفها الثقافة الإسلامية، ولكن التربية الجنسية النظيفة جزء لا يتجزأ من ثقافة الإسلام.

وقد جاء الحديث عنها في عشرات الأحاديث النبوية الشريفة، وقد تكفل البيت النبوي الكريم الطاهر، بأخبار هذه التربية على نحو غير معهود في سائر الثقافات . ولعل هذا واحد من الأسباب الكثيرة التي تقف وراء زواج النبي الكريم – صلوات ربي وسلامه عليه – بهذا العدد من النسوة. بل إن المتتبع لشؤون هذه التربية الجنسية والأسرية في الثقافة الإسلامية يعلم مدى دقة وشمول الأحكام التي تناولت الزينة والحجاب والاستئذان، ونحوها. بوصفها أوضاعاً إنسانية عامة، يجب أن يأخذ بها كل مجتمع إنساني نظيف إلى يوم الدين.

وباختصار شديد: الثقافة الجنسية في الإسلام ليس فيها إثارة، ولا تعرف الكبت. وهي جزء لا يتجزأ من واقعية الإسلام من جهة، ومن نظامه الأخلاقي وثقافته التربوية من جهة اخرى.

والأحاديث النبوية في هذا كثيرة جداً، ولا يتسع هذا البحث للاستشهاد ولو بحديث واحد عن كل نقطة أو فقرة من هذه الفقرات، وفي وسع من شاء أن يعود إلى كتب السُنّة فهي مليئة بكل تلك التفاصيل الدقيقة، ونحيل الباحث عليها [٨٦].

* بل إن السُنّة علمت الأمة وثقفت الأجيال عند وقوع الخلاف بين الزوجين فقد شرعت الزجر والهجر، ثم التحكيم ثم الطلاق. على أسس سليمة تفض الاشتباك بين المختلفين، فكما دخلا بالمعروف يخرجان بالمعروف، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿... **فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ**

(٨٦) راجع كتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة»، للعلامة عبد الحليم محمد أبو شقة.

ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٨٧].

ومن كل هذا نشأ نظام الأسرة أو قانون الأحوال الشخصية. كما وضعت السُنّة الإطار العام لإقامة الحدود والتعزيرات، وأنها إذا أقيمت في الأمة فإنما تقوم العدالة بين أفرادها وتعمهم رحمة الله، كما قال ﷺ: «حد يعمل به في الأرض خير من أن يمطروا أربعين صباحاً»[٨٨].

* ثم إذا وقعت الجريمة فالقصاص واجب وفيه حياة المجتمع، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٨٩]. أي تتقون وقوع الظلم وانحراف ميزان العدالة.

* وأرست السُنّة مبدءاً عظيماً وهو أن القاتل إذا قتل، فإنما نقطع به الفساد في الأرض، وأن المجرم لابد أن ينال عقابه، فإن استسلم للقضاء فهو كفّارة له، وإن لم يستسلم فسوف يلقى الله قاتلاً ويتخاصم مع خصمه بين يدي الله تعالى، يقول الرسول ﷺ: «من أقيم عليه حد غفر له ذلك الذنب»[٩٠].

ومن كل هذا أيضاً نشأ قانون الجنايات والعقوبات، ومن هنا كان القاضي العادل أول من يظلل يوم القيامة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.

ولذا كان القاضي في الدولة الإسلامية محترماً غاية الاحترام، وقضاؤه يسري حتى على الخليفة، وقد عزت الأمة وارتفع شأنها، لأنها كانت تحترم القضاء، وتُعلي من شأنه وكان يقام فيها الحق، وينال فيها من الظالم. وكيف تقوم لأمة من الأمم قائمة إن ظلم فيها الناس وضاعت فيها الحقوق؟!.

---

(٨٧) الآية (٢٣١) من سورة البقرة.

(٨٨) أخرجه أحمد (٤٠٢/٢) وبرقم (٩١٩٨) والنسائي (٧٦/٨) في قطع السارق باب الترغيب في إقامة الحد؛ وابن ماجه (٢٥٣٨) في الحدود باب إقامة الحدود؛ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه جـ٢/٧٨ برقم (٢٠٥٦).

(٨٩) الآية (١٧٩) من سورة البقرة .

(٩٠) أخرجه الدارمي (٥٠١/٢) في الحدود باب (الحد كفارة لمن أقيم عليه) قال الهيثمي : رواه أيضاً أحمد والطبراني وفيه راو لم يسم وهو ابن خزيمة وبقية رجاله ثقات . وابن خزيمة هو عمارة بن خزيمة يروى عن أبيه وعثمان بن حنيف وعنه الزهري والخطمي وابن أبي يحيى . وثقة ابن سعد . وفي التهذيب : صحيح الحديث، وحسن ابن حجر إسناده . – موسوعة الكتب الستة وشروحها ط الثانية دار سحنون – تونس–

يقول عليه الصلاة والسلام: «كيف تقدس أمة لا يُقام الحق بينهم » وفي رواية « كيف تُقدس أمة لا يقام الحق بينهم "وفي رواية " كيف تقدس أمة لا يؤخذ لضعيفها من قويها»[٩١].

ولو رجعنا إلى كتب أدب القضاء في السُنّة النبوية لوجدنا العجب العجاب، في ثقافة القضاء في الإسلام.

* ثم إن هذا كله يحتاج إلى إمارة تبسط العدل بيد حانية، وتضرب الخارجين بيد من حديد، وقد بيَّنت السُنّة أن الإمام العادل هو خليفة الله في الأرض، فلا يجوز الخروج عليه إلا إذا رأينا كفراً بواحاً عندنا منَ الله فيه برهان[٩٢].

وفي نفس الوقت حرّم على الأمير أن يغش رعيته وأن يوالي أعداءه وأعداء أمته، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «من بات غاشاً لرعيته بات في غضب الله حرم الله عليه الجنة»[٩٣]، وفي حديث آخر« من ولي من أمر المسلمين فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله»[٩٤].

إلى آخر ذلك من الضوابط والقواعد التي نشأ عنها القانون الدستوري الإسلامي كما هو مثبت في كتب السُنّة من كتاب الإمارة والسياسة الشرعية والمغازي والسير.

ولم تهمل السُنّة الثقافة العمرانية في المجتمع، والناظر في الأحاديث المتصلة بهذا الجانب من جوانب الثقافة لا يصعب عليه أن يقف على خصائص العمارة الإسلامية وأغراض

---

(٩١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٠) في الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه جـ٢/٣٦٨ برقم (٣٢٣٩)؛ وابو يعلى(٢٠٠٤) والبزار (١٥٩٦) كشف الأستار؛ وابن حبان (٥٠٥٩) في أول القضاء.

(٩٢) أخرجه البخاري (١٧٨/١) في الأذان باب إمامة المفتون؛ ومسلم(٨٤٦) في الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء.، أحمد (٢٤/٦) رقم (٢٧١٤٥) .

(٩٣) أخرجه البخاري في الأحكام باب من استرعى رعية، رقم (٧١٥١) ومسلم في الإيمان باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار؛ وأحمد (٢٥/٥) رقم (٢٠١٦٧).

(٩٤) أخرجه احمد (٦/١) رقم (٢١) وصححه الحاكم في المستدرك (٩٣/٤)؛ وخالفه الذهبي .

البناء والعمران. وقد كان البناء يحقق المصلحة الخاصة والعامة وليس في أحكام الثقافة الإسلامية ما يشير إلى جواز أن يتخذه الإنسان غرضاً للهو والغفلة عن الله تعالى، لقد شجعت السُنّة أولاً بناء المساجد كما قال عليه الصلاة والسلام: «من بنى لله مسجداً ولو كَمَفحص قَطاة بَنى الله له بيتا في الجنة»[٩٥]. ثم شجعت الأحباس - الوقف - للصرف على هذه المساجد وما يلحق بها من الإنفاق على الفقراء وطلبة العلم، وسائر أعمال الخير . كما قال عليه الصلاة والسلام لسيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «احبس أصلها وسبل ثمرتها»[٩٦]، وحثت السُنّة على جميع أنواع الوقف حتى الوقف العسكري وهو وقف الأسلحة لصالح الجيش، كما قال ﷺ عن سيدنا خالد :«وأما خالد فقد احتبس أدراعه في سبيل الله»[٩٧]. وشجعت السُنّة على عمران الأراضي الزراعية كما قال عليه الصلاة والسلام: «من أحيا أرضاً مواتاً فهي له»[٩٨] ورغبت السُنّة أيضاً في زراعة الأشجار المثمرة كما قال عليه الصلاة والسلام: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»[٩٩]. وقال عليه أفضل الصلوات والسلام: «ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسانا أو دابة إلا كان له صدقة»[١٠٠].

وأما الثقافة الواسعة العجيبة المليئة بكل شيء والتي قد تشكل مفردةً ثقافة متكاملة تشمل أهم أبواب السلوك اليومي أو السلوك الإنساني في المجتمع والحياة، فهي أبواب الزهد التي تكلمت عنها السُنّة النبوية، ولعلنا نستغرب؟ فماذا في أبواب الزهد؟ في أبواب الزهد ثقافةٌ

---

(٩٥) أخرجه أحمد ٢٨٨/١ وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره والطبراني ٣٠٩/١١ وبمثله رواه البخاري في الصلاة باب من بنى مسجداً (٤٥٠) ومسلم في المساجد باب فضل بناء المساجد والحث عليها (٥٣٣).

(٩٦) أخرجه أحمد (٢٠/١) و(٢٢١/٢) والترمذي برقم (٣١٨) وابن ماجه (٧٣٦) كلاهما في الصلاة؛ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه جـ١/١٢٤ برقم (٦٠٣).

(٩٧) أخرجه أحمد (١٥٧/٢) والنسائي (٣٢٢/٦) وابن ماجه ٢٣٩٧)؛ وصححه الألباني في المرجع السابق جـ٢/٤٩.

(٩٨) أخرجه أحمد (٣٢٢/٢) والبيهقي (١١١/٤).

(٩٩) أخرجه أحمد (٣٠٤/٣ و ٣٣٨) والترمذي (١٣٧٨)؛ وابن أبي شيبة (٧٥/٧)؛ وصححه الألباني في (الصحيحة ٥٦٨).

(١٠٠) أخرجه الطيالسي في مسنده (ص:٢٧٥) رقم (٢٠٦٨) وأحمد (١٨٤/٣) وبرقم (١٢٨٣٧) والبخاري في الأدب المفرد (١٦٨) رقم (٤٧٩).

رائعة تنظر إلى الأشياء بعين الحقيقة والواقع، وهي إن فيها فلسفة الحياة الإسلامية بكل أطيافها! الزهد تهذيب النفس، ومن هذا المسمى انبثقت علوم كثيرة، بنيت على قواعد مأخوذة من جوامع الكلم التي نطق بها الذي لا ينطق عن الهوى، فعلم النفس وعلم الأخلاق وعلم الاجتماع بأسسها وأبوابها تجدها في أبواب الزهد التي وردت عن النبي ﷺ، وما من حديث وارد عن النبي ﷺ إلا والمحدثون صنعوا منه باباً وتبعهم علماء التصوف الصلحاء يفسرون ويفصلون ويغوصون في معانيه، بعيداً عن فلسفة أرسطو ومن لف لفه من حكماء اليونان وعلماء الأخلاق، واستقرت عند علماء المسلمين قبل عصر الترجمة بكثير. وللأسف تجد كثيرا من العلماء يقولون إن المتصوفة تأثروا بفلسفة اليونان ويربطون ظهور التصوف بظهور الترجمة، ولم يدروا أن التصوف كلمة أصيلة عربية قديمة، ففي معاجم اللغة: يُقال إذا تنسك، ويُقال صَافَ السهمُ صَوفاناً إذا مالَ عن هدفة، وتصوف : إذا اضطرب عن الهدف[١٠١].

والميلان هذا هو معنى الحنيفية لأن الحَنَف في الأصل بمعنى الميل أيضاً، فكما أن الحنيفي هو الذي مال عن جميع الأديان إلى دين الإسلام أو دين التوحيد، فكذلك المتصوف مال عن الدنيا وزهد فيها. ومن أشد ما يثير الغرابة أن تجد في كثير من الكتب على أن كلمة التصوف جاءت من (سوفيا)، وهي كلمة يونانية. بمعنى الفلسفة

ومهما يكن من أمر فإننا نجد أن المتصوفة المتمسكين بالكتاب والسُنّة أو المتصوفة الزهاد قد أخذوا كل تصوفهم من أبواب الزهد في السُنّة النبوية. حتى أننا نستطيع أن نجزم بأن الزهد هو (التصوف) النبوي.

وما عداه فلسفة وسفسطة أو هو ما أطلق عليه: التصوف الفلسفي. ولا ننكر تأثر هذا (النوع) من التصوف ببعض الفلسفات القديمة، أو ببعض الموارد اليونانية والمسيحية، ولكننا ننكر أن يكون هذا هو التصوف الإسلامي الذي نتحدث عنه، أو الذي يستحق هذا الاسم.

---

(١٠١) القاموس المحيط (صوف) وتاج العروس (صوف).

وأول شي تجده عند المتصوفة هو السمو نحو مقام الإحسان الذي ذكره النبي ﷺ رداً على سؤال جبريل عليه السلام حيث قال له: أخبرني عن الإحسان قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[١٠٢].

ويُعرِّفون الزهد بما عرَّفه رسول الله ﷺ حيث يقول «ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال وإضاعة المال، ولكن أن تكون فيما في يد الله أوثق فيما في يدك»[١٠٣].

فالزهد الحقيقي هو الوصول إلى مقام الإحسان بإيمان يجعلك تثق بما عند الله وتعيش بنفسٍ غنية عن الدنيا متعالية عن سفاسفها، والغنى الحقيقي هو غنى النفس، كما قال رسول الله ﷺ: «ليس الغِنى عن كثرةِ العَرَض ولكن الغنى غنى النفس»[١٠٤].

(١٠٢) أخرجه البخاري (٢٠/١) ط الشعب؛ ومسلم في أول الإيمان وأبو داود؛ والترمذي (٢٦١٠)؛ والنسائي (٩٨/٨)؛ وأحمد (٢٨/١) عن عمر.

(١٠٣) أخرجه الترمذي (٢٣٤٠) في الزهد باب الزهادة في الدنيا. وقال: غريب؛ وابن ماجه رقم (٤١٠٠) في أول الزهد.

(١٠٤) أخرجه، البخاري (١١٨/٨) في الرقاق باب الغنى غنى النفس؛ ومسلم (١٠٥١) في الزكاة. باب ليس الغنى عن كثرة العرض؛ والترمذي (٢٣٧٣) في الزهد باب ما جاء أن الغنى غنى النفس؛ وابن ماجه (٤١٣٧) في الزهد باب ا المبحث الثاني،و أحمد (٣٩٠/٢) وبرقم (٩٠٣٩)

المبحث الثاني

أدب الثقافة

قلت إن مصطلح (الثقافة) بالمعنى الذي تناولته في هذا البحث، والذي يتناوله الباحثون والدارسون مصطلح حديث أو معاصر، وأن هذا المعنى أو الدلالة كانت تندرج تحت مصطلح (العلم) في الكتاب والسُنّة، وفي عُرف الأقدمين، ولهذا فإن أدب الثقافة لا يعدو أن يكون من آداب العلم في الإسلام. ونشير فيما يلي إلى أبرز هذه الآداب، وبخاصة في الجانب السلوكي المميز للثقافة، كما ذكرت في مطلع هذا البحث.

ويمكن تلخيص هذه الآداب بما يلي :

١ – آداب العلم.

٢ – نفع النفس.

٣ – نفع الناس.

أولا : آداب العلم

لقد ذكرت السنة آداباً كثيرة للعلم. وأهم هذه الآداب أن يتعلم العلم لله تعالى لا يريد به غير ذلك. كما قال عليه الصلاة والسلام: « من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرف الجنة – أي رائحتها – يوم القيامة»[١٠٥]، وقال أيضاً : « من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار»[١٠٦] .

---

(١٠٥) أخرجه أحمد (٣٣٨/٢) وبرقم (٨٤٣٨)؛ وأبو داود (٣٦٦٤) في العلم باب في طلب العلم لغير الله؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود جـ٦٩٧/٢ رقم(٣١١٢)؛ وابن ماجه (٢٥٢) في المقدمة باب الانتفاع بالعلم والعمل ؛ وصححه الحاكم ١/ ٨٥ ووافقه الذهبي.

(١٠٦) أخرجه الترمذي (٢٦٥٥) في العلم باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا. وقال: حسن غريب .

لأن العلم كما تقدم مسؤولية وأمانة سوف يُسأل عنها المسلم يوم القيامة، كما قال ﷺ: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه، وعن جسده فيم أبلاه، وعن علمه فيم عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه»[١٠٧].

وقد تقدم معنا أيضاً قوله ﷺ: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تعلمون منه»[١٠٨]، وهذه آداب جامعة لطالب العلم، فكل من يحمل الثقافة الإسلامية يجب أن يكون متواضعاً وعليه السكينة. ليس صاخباً ولا متهوراً. كما يجب أن يحترم العلماء، فالعلماء هم السادة وهم القادة، وهم كما قال عليه الصلاة والسلام «العلماء ورثة الأنبياء»[١٠٩].

وقد اتخذ علماء الأمة هذه الأحاديث قواعد في أدب الثقافة، فلا يكون الإنسان عالماً بحق إلا إذا كان متأدباً بها، حتى إذا كان في صفوف العلماء، فلا يتكلم إلا بعلم ولا يتعامل إلا بحلم، ولا يخرج عن إطار الثقافة والأدب، أياً كانت الظروف، فلا يماري العلماء ولا يتباهى به أمام الأمراء. فإذا فعل ذلك كان حسابه عسيراً يوم القيامة، يقول الرسول ﷺ: «من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم»[١١٠]، وكفى بهذا إخلاصاً في النيّة، وتصحيحاً للسلوك. وفي رواية أخرى: «من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»[١١١].

ثانياً: نفع الناس بالعلم

وقد بيَّنت السُنّة أيضاً أن العلم الذي لا فائدة تُرجى منه ليس بعلم، وأن الثقافة التي ينقطع أثرها في السلوك ليست بثقافة. ومعنى هذا أن الثقافة الإسلامية تطرح مبدأ (الغائية)

---

(١٠٧) أخرجه الترمذي (٢٤١٦) في أول كتاب صفة القيامة، وقال: غريب؛ والدارمي (١/١٣٥)؛ والطبراني في الصغير (١/٢٦٩)؛ وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/٣٤٦) و شواهد كثيرة تحسنه.

(١٠٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٤٢) بسند حسن. وقد تقدم

(١٠٩) أخرجه ابن ماجه (٢٢٣) في المقدمة باب فضل العلماء؛ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (١٨٢).

(١١٠) أخرجه ابن ماجه (٢٥٣) في المقدمة باب الانتفاع بالعلم، وأورده الهيثمي في المجمع (١/١٨٣) من طرق متعددة؛ وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٢٠٦).

(١١١) أخرجه أبو داود (٥٠٠٦) في الأدب باب ما جاء في المتشدق في الكلام.

في العلم! أي أنه يُراد به النفع، وليس الضرر أو التحكم بالآخرين أو القهر أو نحو ذلك من الغايات غير الشريفة، إن على المسلم أن يبحث عن العلم النافع الذي يفيده في دنياه ودينه، ولا يتعلم ما يضره أو يضر الناس كالسحر وغيره. وقد بيّن النبي ﷺ العلم الذي يفيد فقال: «العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة أو سُنّة قائمة أو فريضة عادلة»[١١٢]. وهذه على الأقل ثقافة العامة، فيتعلم الآية ليعبد ربه، ويتعلم الأحاديث ليعرف أحكام دينه، ويتعلم الفرائض ليعرف ما له وما عليه

ثالثاً: نفع الناس

ونفع الناس هو المطلوب من المتعلم، وبه يكون العالم عاملاً، لأنه من لم يعمل بعلمه فقد خسر دنياه وآخرته، وقد بيّن ذلك النبي ﷺ فقال «أول ما تُسعر به النار ثلاثة عالم ومنفق ومجاهد»[١١٣]. وخوف الأمة من مصير العالم الذي لا ينفع الناس ولا يعمل بعلمه فقال عليه الصلاة والسلام: «يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به أهل النار، فيقولون يا فلان مالك؟ ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول بلى قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه! وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[١١٤].

لقد حفلت أبواب الأدب والزهد والرقائق- في كتب الحديث الشريف- بجميع وجوه نفع الناس، وبأعلى أنواع السلوك مع الله تعالى ومع النفس والعالم ولا ريب في أن العمل بها يرتقي بالإنسان وخاصة العالم إلى درجة ملائكية أو قريب منها !

ففي أبواب الأدب يتعلم المسلم السلوك الصحيح في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وحركته وسكونه، وفي أبواب الزهد والرقائق، يتعلم الإخلاص والصبر والرضا والإعراض عن حب الدنيا والحرص عليها، كما يتعلم التحلي بالأخلاق الفاضلة، ومعاملة الناس بالكرم

---

(١١٢) أخرجه البخاري (١٠/١) في الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه؛ ومسلم (٤٥) مثله؛ والترمذي (٢٥١٥) وصححه؛ والنسائي (٥٠١٦)،و أحمد (١٧٦/٣).

(١١٢) أخرجه أبوداود (٢٨٨٥) في أول كتاب الفرائض، وابن ماجه في المقدمة باب اجتناب الرأي والقياس رقم (٥٤)؛ ورواه الحاكم في المستدرك (٣٣٢/٤)؛ وسكت عنه وقال الذهبي: ضعيف.

(١١٣) أخرجه ابن أبي شيبه (٢٩٦/٥).

(١١٤) أخرجه البخاري (٣٢٦٧) في بدء الخلق ومسلم (٢٩٨٩) في الزهد. أحمد (٢٠٥/٥) وبرقم (٢١٦٨١) .

والتسامح وحب الآخرين، حيث يعتبر الناس جميعاً إخواناً له، ويحب لهم ما يحب لنفسه، وقد ربطت السُنّة كل ذلك بالإيمان، كما قال عليه الصلاة والسلام «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١١٥].

وبهذا وما يتبعه من تفصيلات مذكورة في السُنّة تتفق الثقافة العملية والنظرية مع الثقافة السلوكية. وهكذا أخرجت لنا السُنّة مثقفاً مثالياً، لم يوجد مثله على مر العصور، حتى صار المسلم الحق مثالاً يحتذى، وحتى أضحت ثقافته الإسلامية، أي الثقافة التي أنجبته، هي الثقافة المُثلى التي تتطلع اليها الأمم .. والله أعلم.

(١١٥) أخرجه البخاري (١/١٠) في الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه؛ ومسلم (٤٥) مثله؛ والترمذي (٢٥١٥) وصححه؛ والنسائي (٥٠١٦)،و أحمد (٣/١٧٦) .

الخاتمة

هذا البحث هو إشارات فقط إلى ما تكتنزه السُنّة النبوية من معارف، وإلى ما تحويه من أسس لثقافة أمة كانت وما تزال خير أمة أخرجت للناس، وهذه الثقافة هي التي كانت سبب الرفعة لهذه الأمة التي ملكت ما بين المشرق والمغرب، وبنت حضارة متميزة جمعت بين المادة والروح، والعلم والدين، وآخت بين الأمم والشعوب، وكانت ممارستها في التاريخ تحكمها هذه الأخوة، إلى جانب الالتزام بأعلى درجات العدل وتحقيق الكرامة لبني آدم، بحق هذه الآدمية أو بحكم كونهم من بني آدم، ولم يسجل التاريخ أنها قتلت شعباً، أو أحرقت مكتبة أو خرجت على حكم واحد من أحكام الثقافة التي رفعت رايتها، أو قيمها التي نادت بها أو أشاعتها.

لقد نشرت الثقافة الإسلامية راية العلم وعلت الأمم، ورفعت راية الحرية في العالم، التي قال أحد قادة أمتها العظام: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟».

هذا وأن الذي نريد أن نسطره في هذه الخاتمه هي أن السُنّة النبوية هي المصدر الأهم للثقافة الإسلامية بل هي مصدر ثقافات العالم الذي يدعي أنه المتحضر والذي سرق منها ليبني. ومهما حدث فإن دور الثقافة الإسلامية في تنوير الأمم لا يُنكر، فثقافتنا كلام وفعل وعلم وعمل، ومن لم يعمل بعلمه كان في النار.

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- إتحاف السادة المتقين للزبيدي (شرح إحياء علوم الدين للغزالي)، ط المطبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣٦٦ هـ
- آيات الله في البحار، للأستاذ ماهر أحمد الصوفي، د. ت.
- الأدب المفرد للبخاري، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الإحسان ترتيب صحيح ابن حبان- بترتيب ابن بلبان (علاء الدين بن بلبان)، تحقيق الشيخ الأرناؤط - ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، للدكتور زكريا هميمي، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢م
- الترغيب والترهيب للمنذزي.طبعة دارإحياء التراث العربي (عيسى الحلبي).
- الثقافة الإسلامية بين ماضيها وحاضرها، للدكتور، محمد عبد المنعم خفاجي، ط المجلس العالى للثقافة الإسلامية، مصر، ١٩٦٦م.
- الثقافة الإسلامية في الهند للشيخ عبد الحي الكنوي الحسيني، ط مجمع اللغة بدمشق .
- الثقافة والثقافة الإسلامية، سميح عاطف الزين، ط دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م.
- الدر المنثور، ط إيران، ١٩٦٢.
- السنن الكبرى للبيهقي، ط الهند، ١٣٧٩هـ.
- السنة لابن أبي عاصم، ط المكتب الإسلامي، بيروت سنة ١٤٠٠هـ
- السيرة النبوية لابن هشام، مطبعة الفجالة، ط٣، القاهرة، ١٩٧٨م.
- الظواهر الجغرافية في القرآن الكريم للدكتور فوزي الشربيني، الناشر عالم الكتب، ط١، ١٩٩٨م.
- العلل المتناهية لابن الجوزي، قدم له وضبطه الشيخ خليل، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣.
- الكامل في الضعفاء لابن عدي، دار الفكر، ط١، ١٩٨٤م.
- اللالئ المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، لجلال الدين السيوطي.ط بولاق .
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف .دار إحياء التراث العربي (عيسى الحلبي).

- المعجم الأوسط للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حققه وخرّج أحاديثه حمدي السلفي، ط٢.
- المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق دكتور محمود الطحان، جامعة الكويت، مكتبة المعارف، الرياض
- المعجم الصغير للطبراني، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط دار المثنى بالعراق، ١٩٦٩م.
- المعجم الكبير للطبراني، طبعة بغداد العراق ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.
- المستدرك للحاكم النيسابوري، ط دار المعارف العثمانية بالهند، ١٩٥٨م.
- القاموس المحيط، طبعة دار الجيل، بيروت ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- المقاصد الحسنة للسخاوي. الطبعة الهندية .
- النظرية القرآنية الكونية حول خلق العالم، لسليم جابي مطبعة نصر، طبعة أولى.
- تاج العروس للزبيدي.ط بولاق .
- تاريخ دمشق لابن عساكر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، تحقيق سكينة الشهابي .
- تاريخ بغداد، ط دار السعادة بمصر ١٣٣٦هـ.
- تاريخ تذكرة الحافظ الذهبي، ط دار الفكر، بيروت، مصورا عن الطبعة الأولى.
- تحرير المرأة في عصر الرسالة للعلامة عبد الحليم أبو شقة. الكويت - دار القلم- الطبعة الأولى ١٤٠٠/ ١٩٩٠ - ستة أجزاء .
- تنزيه الشريعة لابن عراق الكناني (علي بن محمد بن عراق)، ط مكتبة القاهرة، ١٣٧٥هـ
- جامع بيان العلم وفضله للإمام المحدث أبي عمر يوسف ابن عبد البر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان
- جامع المسانيد-مسانيد أبي حنيفة - للحصكفي -.ط الهندية - .
- جذور الفكر القومي والعلماني، دكتور عدنان زرزور، ط الثالثة، المكتب الإسلامي، ١٩٩٩م.
- حلية الأولياء لأبي نعيم، ط دار السعادة بمصر، سنة ١٣٦٣هـ.
- سلسة الأحاديث الصحيحة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.ط مكتبة المعارف- الرياض
- سلسلة الأحاديث الضعيفة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. ط مكتبة المعارف- الرياض
- سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين اللباني، المكتب الإسلامي، ط٤، القاهرة، ١٣٩٨هـ
- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط عيسى الحلبي، مصر (الأولى).

- سنن الدارمي، ط دار الريان، القاهرة، ١٩٨٩م.

- سنن الترمذي، ط مصطفى الحلبي بمصر ١٩٧٥م.

- سنن الدار قطني، ط المدينة المنورة (الأولى).

- سنن أبي داود، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط الدار العصرية، بيروت(الأولى).

- شرح السنة للبغوي (الحسين بن مسعود الفراء)، بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤط، ط المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م

- شرح الشفا للقاضي عياض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- شروط النهضة، مالك بن بني، دار الفكر، ط ١٩٧٦م.

- شرح صحيح مسلم، ط الكليات الأزهرية، عام ١٩٦٢.

- صحيح البخاري مع فتح الباري، ط المطبعة السلفية بمصر.

- صحيح مسلم، ط عيسى الحلبي بمصر (دار إحياء الكتب العربية)، سنة ١٩٥٤م

- صحيح مسلم، شرح النووي.ط

- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي

- صحيح ابن ماجه، للشيخ ناصر الدين الألباني.

- صحيح سنن أبي داود، للشيخ ناصر الدين الألباني.

- فلسفة التربية، للدكتور فيليب فينكس، ترجمة الدكتور محمد لبيب النجيمي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م .

- فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة،بيروت، لبنان.

- كشف الأستار عن زوائد البزار.للهيثمي .الطبعة الهندية .

- مجمع الزوائد، طبعة دار الريان للتراث القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

- لسان العرب لابن منظور.ط الشعب .

- موطأ الإمام مالك، ط الشعب ..

- مسند أبي داود الطيالسي.ط الهندية .

- مسند أبي يعلي الموصلي، حققه، حسين سليم أسد، دار المأمون- دمشق

- مسند أحمد، طبعة المكتب الإسلامي، بدون سنة، تحقيق الألباني، مع الاعتماد على الطبعة المحققة بتحقيق الشيخ شاكر والدكتور حمزة الزين، ط دار الحديث، سنة ١٩٩٥م.

- ملاحظات نحو تعريف الثقافة لإليوت، ترجمة د. شكري عباد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.

- سنن النسائي، ط المطبعة المصرية (مصطفى أفندي)، سنة ١٩٣٠م، مع ترقيم عبد الفتاح أبو غدة بحاشية السندي، وتصوير دار البشائر.

- هل أحاديث الطب النبوي وحي؟)، بحث منشور للدكتور شرف القضاة، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، العدد (٦)، المجلد (١٧)، الأردن، سنة ٢٠٠٢م

Abstract

The Sunnah as a Source of Islamic Culture

Dr. Sheikha Hamad Abdullah al-Attia

This research demonstrates that the source of the Islamic culture is a reflection of a Muslim's daily life. The details of this life is one's worship, morals and all other different ways and norms of interaction and behavior. Hence, those who claim that they can disregard the Sunnah and restrict themselves to the Quran are in fact destroying the most vital part in a Muslim's conduct, and undermining the Islamic societies.

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

ACADEMIC REFEREED JOURNAL OF
ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

EDITOR IN-CHIEF
Dr. Ahmed Hassani

EDITORIAL BOARD
Dr. Asma Ahmed Alowais
Dr. Majid Abdulsalam
Dr. Al-Rifai Abdel Hafiz
Dr. Cherif Mihoubi

ISSUE NO. 36
Dhu'l-hijja, 1429H - December 2008CE

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the **"Ulrich's International Periodicals Directory"**
under record No. **157016**

e-mail: iascm@emirates.net.ae

United Arab Emirates
Dubai

ISSN 1607-209X

ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE MAGAZINE

Academic Refereed Journal

ISSUE NO. 36
Dhu'l-hijja, 1429H - December 2008CE
E-mail: iascm@emirates.net.ae